

إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام / العدد (١٤)

السلسلة الأخلاقية

(وقفات أخلاقية)

الحلقة الأولى

بقلم

الشيخ حبيب السعيد

الطبعة الثانية

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

لمعرفة المزيد حول دعوة السيد أحمد الحسن عليه السلام

يمكنكم الدخول إلى الموقع التالي :

www.almahdyoon.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى الكوكب الدرّي . . .

إلى خامل الذكر وأمل أهل الذكر . . .

إلى أصغر أهل البيت سنّاً، وأخملهم ذكراً، وأوسعهم كفاً . . .

أهدي هذه الحروف إلى سيدي ومولاي بقية الله في أرضه، وكلي تقصير وأرجو منه القبول .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

كتبت هذه الحروف البسيطة من باب التذکر فإن الذکری تنفع المؤمنین، وحسب ما عرفت وقد رأیت من یدس السم فی العسل، ویسقي المؤمنین تارکاً القرآن وأهل البيت ﷺ، والمطلوب هو الانطلاق من الثقلین لا غیر؛ فإن الغیر هو الباطل بعینه وما بعد الحق إلا الضلال المبین. وهذه کلمات یسیرة أرجو من الله تعالی بلطفه الخفی وبأحق وأعز الخلق علیه محمد وآل محمد الطاهرین أن ینفعنی بها وینفع إخوانی المؤمنین طالبی الحق والفترة الصحیحة، وبدون تکلف، فقد من کلامه أحلی من العسل وقلبه أمر من الخنظل. أو یعطیک من طرف لسانه حلاوة، ویروغ منك كما یروغ الثعلب، بغض النظر عن الشكل والمظهر الخارجي وهذا هو النفاق بعینه والعیاذ بالله تعالی، فأرجو وأطلب من الله أن یشکر قولنا وعملنا سواء ولا یشکر فی القول فضل علی العمل وأن یشکرنا مع الصادقین مع محمد وآله الطاهرین.

الشیخ حبیب السعیدی

۱۳ / جمادی الأول / ۱۴۲۵

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، مالك الملك، مجري الفلك، مسخر الرياح، فائق الإصباح، ديان الدين، رب العالمين، الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكانها، وترجف الأرض وعمارها، وتموج البحار ومن يسبح في غمراتها.
اللهم صلّ على محمد وآل محمد الفلك الجارية في اللجج الغامرة، يأمن من ركبها، ويغرق من تركها، المتقدم لهم مارق، والمتأخر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق.

الهدف السامي للإنسان:

خُلق الإنسان من أجل هدف سامٍ وكبير جداً، وهذا الهدف هو معرفة المنعم الحقيقي، والمعرفة هي التي يترتب عليها العمل؛ لأن الإنسان إذا عرف شيئاً بقيمته يسعى إليه بقدر معرفته به. مثلاً إذا كان يعرف مكان كنز من ذهب في موضع كذا، وكنز من قير في موضع كذا، فإذا كان الإنسان طالباً للمال يكون سعيه لکنز الذهب أكثر بكثير من السعي نحو كنز القير؛ لأنه يعرف قيمة الذهب أعلى وأسمى من قيمة القير، فيسعى نحو الذهب بقدر معرفته له.

في الحديث القدسي: **(كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق)** ^(١).

وقال تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** ^(٢).

والعبادة لا تكون إلا بالمعرفة. إذن الله **وَعَلَّمَ خَلْقَنَا** من أجل أن نعرفه، ولهذا المعرفة عدة طرق من المعرفة من خلال النفس: **(من عرف نفسه فقد عرف ربه)** ^(٣).

ومن خلال الآيات الأفقية: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾** ^(٤).

وقال تعالى: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾** ^(٥).

وقال تعالى: **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾** ^(٦).

١- شرح أصول الكافي - للمازندراني: ج ١ ص ٢٤.

٢- الذاريات: ٥٦.

٣- عوالي اللئالي: ج ٤ ص ١٠٢.

٤- فصلت: ٥٣.

٥- آل عمران: ١٩٠.

٦- الأنعام: ١٥٣.

وعن أهل بيت العصمة عليهم السلام إن الصراط الذي أمر الله تعالى به هو أمير المؤمنين عليه السلام. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(١).

فالمنذر رسول الله صلى الله عليه وآله والهادي هو أمير المؤمنين عليه السلام الهادي إلى الصراط المستقيم، والهادي والصراط بعد أمير المؤمنين عليه السلام هو الإمام الحسن عليه السلام ومن بعده الإمام الحسين عليه السلام.
فقد ورد عنهم عليهم السلام ما معناه: (إن القرآن يجري مجرى الشمس والقمر، فكما جرى على أولنا يجري على آخرنا)^(٢).

والصراط في زماننا والهادي وحبل الله المتين هو الإمام القائم عليه السلام: ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣).

ذلك الإمام المظلوم المنسي، المنسي، الخامل الذكر، ولي الله الأعظم محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، الذي هو الطريق الوحيد الذي يوصلنا ويعرفنا بالله تعالى، والله تعالى يقول: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(٤). فالوسيلة هم آل محمد عليهم السلام الإمام المهدي عليه السلام الآن ممثل الله في

في الأرض وهو واسطة الفيض الإلهي إلى جميع المخلوقات، ففي الزيارة الجامعة الكبيرة: (السلام على محال معرفة الله، السلام على مساكن ذكر الله، السلام على مظهري أمر الله ونهيه، السلام على الدعاء إلى الله، السلام على المستقرين في مرضاة الله، السلام على المخلصين في طاعة الله، السلام على الأدلاء على الله، السلام على الذين من والاهم فقد وإلى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، ومن عرفهم فقد عرف الله، ومن جهلهم فقد جهل الله، ومن اعتصم بهم فقد اعتصم بالله، ومن تخلى منهم فقد تخلى من الله عز وجل).

فكل مقطوعة من هذه الزيارة تحتاج إلى وقفة وتدبر. فهذه الصفات كلها متمثلة بسيدنا ومولانا ولي العصر أرواحنا له الغداء.

* * *

١- الرعد: ٧.
٢- روى العياشي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: (القرآن نزل أثلاثاً: ثلث فينا وفي أحبائنا وثلث في أعدائنا وعدو من كان قبلنا وثلث سنة ومثل ولو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض ولكل قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شر) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٠ ح ٧.
٣- آل عمران: ١١٢.
٤- المائدة: ٣٥.

تية بني إسرائيل:

قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾^(١).

فإن يونس عليه السلام ترك قومه وذهب مغاضباً عدة أيام، وتوعد قومه بنزول العذاب بعد غيابه عنهم، فلما رأوا علامات العذاب أقبلت عليهم تابوا إلى الله وطلبوا نبينهم بصدق، فلم يجدوه، ثم لجأوا لله تعالى وتضرعوا إليه فرفع عنه العذاب وعاد إليهم يونس عليه السلام.

فانظر إلى الفارق بين أمة يونس وأمة المهدي عليه السلام الذي غاب عنهم إمامهم كل هذه المدة. (لتركن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لا تخطؤون طريقهم ولا يخطأكم سنة بني إسرائيل)^(٢).

فيونس عليه السلام غاب أياماً معدودة والإمام المهدي عليه السلام غاب مئات السنين، ويونس عليه السلام نبي من أنبياء بني إسرائيل وأفضل منه عيسى عليه السلام؛ لأنه من أولي العزم الخمسة عليهم السلام، وعيسى يصلي خلف ولي العصر محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، وقوم يونس قلة قليلة مائة ألف أو يزيدون، والأمة الإسلامية تزيد على مليار مسلم، وقوم يونس أستاذهم ومعلمهم هو عليه السلام، وأمة محمد عليه السلام أستاذهم ومعلمهم محمد عليه السلام، فعلمهم أكثر من باقي الأمم بفضل محمد وآل محمد عليهم السلام. ومع كل هذه المفاضلة ألا تعمل هذه الأمة كما عمل قوم يونس عليه السلام ويطلبون إمامهم بصدق وإخلاص من أجل الوصول إلى الصراط المستقيم؟ فالأمة في تيه وضلال وهم لا يشعرون كما أخبر رسول الله عليه السلام بذلك ما معناه: (تية أمي كما تاه بنو إسرائيل)^(٣).

وبنو إسرائيل تاهوا بسبب عدم طاعتهم لأوامر موسى عليه السلام وكان مدة تيههم أربعين سنة، وأمة محمد عليه السلام وعلي والمهدي عليهم السلام كما ترون كم هم تائهون عن إمامهم، وفوق كل هذا يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿۱﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٤).

١- الأنبياء: ٨٧.

٢- بحار الأنوار: ج ١٣ ص ١٨٠.

٣- قال رسول الله عليه السلام: (والذي نفسي بيده لتركن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لا تخطنون طريقهم ولا يخطنكم سنة بني إسرائيل) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٠٣.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (... لكن تهتم كما تاهت بنو إسرائيل على عهد موسى [بن عمران] عليه السلام ولعمري ليضاعفن عليكم التيه من بعدي أضعاف ما تاهت بنو إسرائيل) الكافي: ج ٨ ص ٦٦ ح ٢٢.

٤- الكهف: ١٠٣ - ١٠٤.

عن يونس بن ضبيان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (قال رسول الله ﷺ: إن الله **كذلك قال: وويل للذين يجتلبون الدنيا بالدين، وويل للذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالتقية، أبي تفترون أم عليّ فتجترون، فبي حلفت لأمتحنهم بفتنة تترك الحكيم منهم حيراناً**)^(١).

روي سعد بن ظريف، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قول رسول الله ﷺ: (من أحب أن يحيى حياة تشبه حياة الأنبياء، ويموت موتة تشبه موتة الشهداء، ويسكن الجنان التي غرسها الرحمن، فليتول علياً وليوالي وليه وليقتدي بالأئمة من بعده، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، اللهم ارزقهم فهمي وعلمي، وويل للمخالفين لهم من أمتي، اللهم لا تنلهم شفاعتي)^(٢).

فكل من يسمع هذا الحديث أو يقرأه يقول أنا أتولى علياً والأئمة من بعده عليهم السلام، فلنقف قليلاً إذا كانت الأمة توالي الإمام المفترض الطاعة، يعني تطيع أوامره ونواهيه، فبذلك تكون الأمة أولياء لله وللإمام عليه السلام، وإذا كانوا كذلك أحبهم الله والإمام، وإذا أحبهم الله فهل يحجب عنهم وليه؟ إذن الأمة لا تستحق أن ترى الإمام وتنفع بقيادته إلى شاطئ النجاة؛ بسبب الذنوب وعدم الامتثال لأوامر الله تعالى وحجته على خلقه.

فعلى الأمة الإسلامية أن تفيق وتنتبه وتطلب إمامها بصدق نية وصفاء سريرة، وتتضرع إلى الله الواحد القهار الرؤوف الرحيم، وبحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة المعصومين والإمام المهدي المظلوم عليهم جميعاً سلام الله، وتطلب من الله تعالى ليلاً ونهاراً، مساءً وصباحاً، وفي دبر كل صلاة وفي كل وقت. ولكن مع الأسف الشديد على المتدينين فضلاً عن غيرهم يطالبون ويصرخون باستمرار إلى الآن بالانتخابات من أجل قيادتهم، وكأنهم ليس لهم إمام غائب وهو قائدهم الإلهي، ولا يندبونهم ويطلبون تعجيل فرجه من الله تعالى، ولا يمهّدون له مكانه ومنصبه الذي سلب منه ومن آبائه على مر العصور، ولم يلتفتوا إلى مظلوميته.

عن الإمام الصادق عليه السلام: (أوصى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام أنه سيولد لسارة، فقالت: (ألد وأنا عجوز) فأوحى إليه إنها ستلد ويعذب أولادها بردها الكلام عليّ. قال: فلما طال على بني إسرائيل العذاب ضجوا وبكوا إلى الله أربعين صباحاً فأوحى الله إلى موسى وهارون

١- البرهان: ج ١ ص ٢٧٤.
٢- الكافي: ج ١ ص ٢٠٨ ح ٣.

ليخلصهم من فرعون فحط عنهم سبعين ومائة سنة، فقال الصادق عليه السلام: هكذا أنتم لو فعلتم لفرج الله عنا، فأما إذا لم تكونوا فإن الأمر ينتهي إلى منتهاه) ^(١).

* * *

القرآن يبحث على التكامل:

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ^(٢).
وقال تعالى: ﴿أَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ^(٣).

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ^(٤).
وبالطبع إن الإنسان خلق من مادة، والمادة بطبعها تخلد إلى الأرض، وبعد أن تخلط الروح مع المادة ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ ^(٥)، تنقيد الروح ولا تكون لها الحرية الكاملة في العلو والرفعة والمعرفة، والإنسان بطبعه وفطرته التي فطره الله عليها يحب الكمال، وهذه غريزة أودعها الله تعالى فيه ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ ^(٦).
وروي عن رسول الله ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه) ^(٧).

إذن، فعلى الإنسان أن يتفكر في نفسه وفي المخلوقات التي حوله وفي السماوات والأرض،
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ^(٨).
﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ^(٩).

١- إلزام الناصب: ج ١ ص ٤١٥، ط ١.

٢- محمد: ٢٤.

٣- النساء: ٨٢.

٤- ص: ٢٩.

٥- الحجر: ٢٩.

٦- الروم: ٣٠.

٧- شرح الأخبار - للفاضل المغربي: ج ١ ص ١٩٠.

٨- آل عمران: ١٩٠.

٩- الجاثية: ١٣.

ويسأل نفسه ويتساءل مع غيره لماذا هذا الخلق والإيجاد، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(١).

وعليه بعد التوكل على الله تعالى أن يُجد بطلب الطرق إلى الوصول إلى الهدف الذي خلق من أجله:

(اللهم صلّ على محمد، واكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني بما تسألني غداً عنه، واستفرغ أيامي فيما خلقتني له)^(٢).

وطرق الوصول إلى الله سبحانه وتعالى في الحديث عن أهل بيت العصمة عليهم السلام (بعدد أنفاس الخلائق)، فإذا كان هذا الكم الهائل من الطرق الموصلة إلى الله فكم نحن عميان، وكم هي الغفلة التي نحن مستغرقون بها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فعلى الإنسان أن يطلب هذه الطرق وهي ليست ببعيدة عنه، ولكن الإنسان هو مبتعد عنها بسبب تلوثه بقاذورات المادة، وتجاهله للروح وعالم الغيب، التي هي أساس وجوده في هذا العالم والعالم الآخر.

* * *

التمسك بالثقلين:

حث الرسول الأكرم محمد ﷺ وأهل بيته حثاً شديداً على التمسك بالثقلين وهم القرآن والعترة الطاهرة، والعمل بما أمروا به والكف عن ما نهوا عنه، قال رسول الله ﷺ: **(إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً)** ^(١).

وقال مولانا الصادق عليه السلام: **(الحافظ للقرآن العامل به مع السفارة الكرام البررة)** ^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: **(إنما هلك الناس في المتشابه؛ لأنهم لم يقفوا على معناه ولم يعرفوا حقيقته، فوضعوا له تأويلاً من عند أنفسهم بآرائهم واستغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء فيعرفونهم)** ^(٣).

نفهم من تلك الأحاديث أن أحد الثقلين لا ينفك عن الآخر، فالقرآن من غير الإمام الحجة المعصوم لا يتم نفعه. ففي الحديث ما معناه: **(أن الله لينع بالسلطان ما لا ينزع بالقرآن)** ^(٤)، وإمام بدون قرآن أيضاً لا يتم نفعه، فهم - أي الثقلين - أيضاً لن يفتقرا حتى يرثوا الحوض على رسول الله ﷺ. فالأمة إذا ضلت وتاهت وأخذت تتخبط فهي غير متمسكة بالثقلين كتاب الله والعترة الطاهرة، وإلا إذا كانت متمسكة لما ضلت وافتقرت وأصبحت فريسة للأعداء.

ومن رحمة الله لهذه الأمة هي رعاية الإمام المهدي عليه السلام لها مع عصيانها وتمرداها عليه؛ لأنه عليه السلام **رحمة للناس ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾** ^(٥).

صحيح أن هذه الآية تخص الرسول الكريم ﷺ ولكن هم يقولون ما معناه: **(إن القرآن يجري على آخرا كما يجري على أولنا)** ^(٦)، والإمام القائم عليه السلام الآن في مقام جده المصطفى ﷺ، ورحمة محمد ﷺ متمثلة في ولده عليه السلام والفيوضات الإلهية تأتي عن طريق الإمام المعصوم في كل زمان، ولولاه لما رزقت المخلوقات سواء كانت الأرزاق مادية أو معنوية.

١- المسترشد - للطبري: ص ٥٥٩.

٢- الكافي: ج ٢ ص ٦٠٣ ح ٢.

٣- بحار الأنوار: ج ٩٠ ص ١٢.

٤- فتح القدير - للشوكاني: ج ٣ ص ٢٥٢.

٥- الأنبياء: ١٠٧.

٦- روى العياشي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: **(القرآن نزل أثلاثاً: ثلث فينا وفي أحبنا وثلث في أعدائنا وعدو من كان قبلنا وثلث سنة ومثل ولو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض ولكل قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شر)** تفسير العياشي: ج ١ ص ١٠ ح ٧.

ومن الممكن أن تخرج فرع من هذه الرحمة التي عند الإمام عليه السلام إلى هذه الأمة كما خرج الأئمة عليهم السلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا ليس من المستحيل، بل هو من مقتضى الرحمة والعطاء الإلهي الذي يحتاج إلى شكر كثير لله سبحانه وتعالى.

فمن الممكن أن يرسل إمامنا الغائب رسولاً قبل قيامه يمهد له، ويبين للناس الصراط المستقيم، وليس شرطاً أن يكون هذا الرسول على ما تحب الناس وتهوى. فقد يمتدح الناس على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم حيث قالت قريش: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾** (١).

فانظروا إلى قريش تريد أن تكون هي التي تُعيّن الرسول، وتريد أن تأتي الرسالة عن طريق رؤسائهم وأغنيائهم ووجهائهم، فسبحان الله التاريخ يعيد نفسه من جديد.
قال تعالى: **﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾** (٢).

وهكذا كان بنو إسرائيل يريدون أن يكون النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم منهم وإلا فلا يتبعونه ولا يوالونه، وهكذا سنن التاريخ وكما أخبر الله تعالى: **﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾** (٣).

فقريش العصر الآن يقولون نفس قول قريش الأولى، لماذا لم يرسل الإمام المهدي عليه السلام رسولاً من العلماء والمجاهدين، أو المعروفين من أصحاب المناصب الدنيوية التافهة العفنة، وكأنهم لا يقرؤون القرآن حين قال: **﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾** (٤).

هذا إذا كان فاسقاً - والعياذ بالله - يأمرنا الله تعالى بعدم تكذيبه بدون تبين وباستعجال، وعلينا أن نتحقق من هذا النبأ. ألا يصنعون كما صنعت الدلفاء بنت أحد رؤساء العشائر العربية عندما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم جويبر ذلك الرجل الفقير إلى أبي الدلفاء وأمره أن يزوج الدلفاء من جويبر، فأبى أبوها ذلك وكذلك عشيرتها لم تقبل بذلك، وقالوا له: إن رسول الله لا يقبل أن تتزوج بنت كبار القوم من رجل فقير مثلك، فأنت كاذب بادعائك أنك رسول من محمد صلى الله عليه وسلم، فاعترضت الدلفاء على أبيها وعشيرتها وقالت لأبيها: إذا كنت شاكاً في صدق الرجل فابعث إلى

١- الزخرف: ٣١.

٢- البقرة: ٨٧.

٣- فاطر: ٤٣.

٤- الحجرات: ٦.

رسول الله وتأكد من صدقه، فليس من اللائق أن نرد رسول النبي محمد ﷺ من دون تأكيد، فذهب أبوها بنفسه للرسول محمد ﷺ وأمره الرسول أن يزوج ابنته الدلفاء من جووير فامتثل لأمر الرسول محمد ﷺ وتزوجت الدلفاء من جووير.

فإن احترامكم لأي خير من جهة الإمام المهدي عليه السلام هو احترام للإمام نفسه. فهل من الأخلاق مواجهتكم لشخص بالتكذيب والتشنيع عليه، وهو يقول لكم إني رسول من الإمام المهدي إليكم، وبالتالي فهذا الموقف ليس غريباً على من قرأ التاريخ وأحوال الأمم السابقة أو قرأ وصف أهل البيت لحال الناس عند قيام الإمام المهدي عليه السلام.

عن الإمام الصادق عليه السلام: (... **ثم يهز الراية** (أي الإمام المهدي) **فلا يبقى أحد في المشرق ولا في المغرب إلا لعنها، وهي راية رسول الله ﷺ نزل بها جبرائيل يوم بدر** (...)^(١).

فيجب علينا أن نكون أحراراً في معرفة عقيدتنا وأن نسعى في طلب العلم الحقيقي، لا علم القشور والكلمات المزخرفة والرنانة والمختارة للغو، فلننهل من العين الصافية الروية من أجل أن نروي عطش أكبادنا وأرواحنا، ونترك تعلقاتنا الصنمية حتى لا نكون كمن اتخذ إلهه هواه. وإذا تركنا هذا الهوى يعث بأرواحنا تندثر وتكون مع البهائم وأرذل بكثير: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٢).

وهل من المعقول أن يعمل العاقل على أن يجعل هذه الروح العالية وهي من عالم الملكوت ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(٣) التي أودعها الله تعالى عندنا لكي نرقى بها ونصل إلى مصاف الملائكة وأكثر؛ لأن الإنسان له قابليات وطاقات هائلة بفضل من الله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾^(٤).

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٥).

وقال رسول الله محمد ﷺ ما معناه: (خلق الله الإنس ثلاثة أصناف: صنف كالبهائم، ثم قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾^(٦).

١- غيبة النعماني: ص ٣٢٠.

٢- الفرقان: ٤٤.

٣- الحجر: ٢٩.

٤- غافر: ٦٤.

٥- التين: ٤.

٦- الأعراف: ١٧٩.

وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين، وصنف كالملائكة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله) (١).

وما ينسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

بني أن من الرجال بهيمة ... في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل رزية في ماله ... وإذا أصيب بدينه لم يشعر (٢).

* * *

١- قال رسول الله ﷺ: (وخلق الله الإنس ثلاثة أصناف: صنف كالبهائم لهم قلوب لا يفقهون بها، وله آذان لا يسمعون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف كالملائكة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله) بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٢٩٢.
٢- انظر: الأنوار العلوية - للنقدي: ص ٤٨٤.

الاختيار لله أم للناس :

يجب على كل صاحب بصيرة أن يحرص على نعمة الفطرة الإلهية ويزكيها لا أن يدسها برذائل الأخلاق، فالله خلقنا لكي نسعد بمعرفتنا له سبحانه وتوحيده التوحيد الحقيقي الذي جاء عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أو من يقوم مقامهم، ولا يجعل هواه هو القائد له، فمعظم رغبات وميول الإنسان حيوانية.

قال تعالى: ﴿وإن تَطَعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾^(١).

فترى أغلب الناس لا يتحملون الحق، أو يتحملونه إذا كان يصدر من جهة هم يحبونها ويوالونها، أما إذا جاءهم الحق من جهة هم يستصغرونها فتراهم لا يقبلون ذلك الحق، ألم يقرأوا قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾^(٣).

وقول أهل البيت عليهم السلام: (ربما أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبر قسمه)^(٤).

وقولهم أيضاً: (إن الله أخفى أوليائه في خلقه، فلا تحتقر أحداً من خلقه عسى أن يكون ولياً من أوليائه)^(٥).

وهل من حق الناس أن ينصبوا أولياء الله تعالى أو اختياريهم، فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٦).

فعلينا أجمع نحن أهل الأنا والحسد والحقد ومختلف الرذائل أن نتطهر من رذائل الأخلاق والتحلي بالأخلاق الحسنة التي أمرنا بها، وأنى يكون ذلك إلا بالعلم والعمل والإخلاص، لا بالخداع والمكر والتظاهر بالتدين، فيكون حالنا حال القبر المنحرف ظاهره وباطنه جيفة، وأن

١- الأنعام: ١١٦.

٢- الأنعام: ١٢٤.

٣- الزخرف: ٣٢.

٤- قال النبي صلى الله عليه وآله: (ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبر قسمه) التحصين - لابن فهد: ص ١٩.

٥- عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: (إن الله أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئاً من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم، وأخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرن شيئاً من معصيته، فربما وافق سخطه (معصيته) وأنت لا تعلم، وأخفى إجابته في دعوته فلا تستصغرن شيئاً من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم، وأخفى وليه في عباده فلا تستصغرن عبداً من عبيد الله فربما يكون وليه وأنت لا تعلم) وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١ ص ١١٧.

٦- النساء: ٥٤.

يكون أحدنا إنساناً حقيقياً لا ذنباً ضارباً (هم ذئاب وعليهم ثياب، كلامهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الحنظل).

ونحن في هذا الزمان كما ترون كم وكم خُدعنا بأشخاص بعنوان الدين ولا حاجة إلى ذكر مواقفهم، والكل يعرف ذلك ولكن يسدل عليه الستار، وسوف تُسألون عن عدم محاربتكم لهذا الفساد الخفي الجارف، وسوف تُسألون عن كتمان الشهادة يوم الأَشهاد.

فتراهم يقتربون معظم الرذائل التي لا تحصى ولا يتأدبون بآداب الشريعة المقدسة، بل يجعلون على أعمالهم القبيحة ثوباً وهالة من القدسية، ويجندون لها المئات من عبيدهم العميان عن معرفة الحقيقة التي لا تخفى على كل ذي بصيرة.

قال تعالى: ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١).

فلماذا نحرم أنفسنا من بركة وهدى الثقلين ونحن بأمس الحاجة لهما، بل كثير من المسلمين يميلون إلى تقليد الغرب الكافر، فحالنا اليوم مزري ومخزي إلى أبعد الحدود، كالذي بيده الماء وهو يموت عطشاً، فهذه الشريعة بين أيدينا من تراث وعتره وبقية آل محمد، فلماذا لا نشرب من عينها الصافية ومعينها العذب حتى نحیی قلوبنا الميتة، لا أن نأخذ ديننا من أفواه الرجال، فعنهم **ما معناه: (من أخذ دينه من أفواه الرجال أزالته الرجال، ومن أخذ دينه من القرآن والسنة زوال الجبال أيسر من زوال دينه)**^(٢).

فعلينا أن نبحث عن ديننا بأنفسنا لا أن نتكل على الآخرين، وقد جربنا مرات ومرات فظهر زيف الذين يقولون (كيت وكيت) وأحفوا علينا الحق خوفاً على مناصبهم مراكزهم الدينية أو الاجتماعية، مثل الكذب على كثير من العلماء والمؤمنين وأرادوا دفن الحق، ولكن هل يستطيعون؟ لا وألف لا.

والآن وبكل وقاحة يكذبون من يلتقي بالإمام المهدي عليه السلام: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٣).

إن لم تصدقوا طوعاً فما بقي لكم إلا السيف، أو أن تؤمنوا تحت ظل السيف فتكونون طلقاء العصر.

١- الحج: ٤٦.
٢- انظر: وسائل الشيعة (آل البيت): ج ٢٧ ص ١٣٢، وفيه: (قال أمير المؤمنين عليه السلام: من أخذ دينه من أفواه الرجال أزالته الرجال، ومن أخذ دينه من الكتاب والسنة زالت الجبال ولم يزل).
٣- التوبة: ٣٢.

فإذا جاءكم هذا الرجل - رسول الإمام المهدي السيد أحمد الحسن - بالرحمة والرأفة وأنتم تستهزؤون به فماذا تريدون بعد الرحمة والرأفة، أليس هو العذاب على من كذب؟ وكذلك سنن الذين من قبلكم.

ففي الحديث عن أهل بيت العصمة عليهم السلام ما معناه في آخر الزمان:

(يكذب الصادق ويصدق الكاذب ويقرب الماحل) ^(١).

(لا يكون شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل) ^(٢).

(ترون المعروف منكراً والمنكر معروفاً) ^(٣).

(تكون الناس كالبهائم) ^(٤).

(وحتى يكاد لا يرى عاقل) ^(٥).

وفي الحقيقة الآن من يقول الحق والصدق يتهم بالكفر والسحر والجنون، فكل شيء معروف عند الناس إلا الحق فأنتهم يرونه باطلاً!!! والحق عندهم فقط ما يصب في صالحهم ويوافق رغباتهم. فإن أحدهم إذا مرض جسدياً تراه تقوم قيامته ولا يترك طبيياً أو سيبلاً إلا وسلكه؛ من أجل هذا الجسد المادي الذي يتلاشى بعد فترة قليلة، ولا يلتفت إلى روحه وهي مصابة بمرض يفوق بكثير المرض الجسدي.

(اللهم إنا نسألك المعافاة في الأديان كما نسألك المعافاة في الأبدان).

وهذه الروح باقية دائماً إلا ما شاء الله بعكس الجسد المادي، فما لنا لا نعقل ونقف ونتفكر ونستدرك الموقف قبل فوات الأوان، وما دمنا في فسحة من الأجل، وما زال النفس يصعد وينزل وأبواب الرحمة الإلهية مفتوحة ليلاً ونهاراً في كل وقت وأوان، وعلينا أن نسرع إلى العلاج والدواء، وهو في كتاب الله تعالى وكلام أهل البيت عليهم السلام التي تشفي كل مرض وعاهة.

عن الرسول محمد صلى الله عليه وآله ما معناه: **(إذا التبت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع وماحل صادق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان**

١- عن الأصبغ بن نباتة، قال: (سمعت علياً عليه السلام يقول: إن بين يدي القائم سنين خداعة، يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب، ويقرب فيها الماحل) الغيبة - للنعماني: ص ٢٨٦.

٢- قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث: (... ثم إنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس في ذلك الزمان شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله تعالى ورسوله ..) الكافي: ج ٨ ص ٣٨٧.

٣- انظر: وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٥ ص ٣٤٨.

٤- انظر: الفتن - لابن حماد: ص ٢٦.

٥- انظر: الملاحم والفتن - لابن طاووس: ص ٧١.

وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة^(١).

فهذا رسول الله ﷺ يحثنا على التمسك بالقرآن لعلمه بالفتن، وأمراض آخر الزمان وانحرافاتهم. قال تعالى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٢).

* * *

١- وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٥ ص ١٧١.
٢- الإسراء: ٨٢.

السعادة من القرآن لا من غيره:

كثير من الناس قد اغتر بالتطور المادي التافه والدعايات الكاذبة البراقة التي ليس لها حقيقة، والحقيقة الغرب في قمة التطور المادي ولكنهم في قمة المرض النفسي، ولا يجدون لأمرضهم النفسية دواء ولن يجدوا أبداً ما لم يدخلوا في الإسلام المحمدي الصحيح، وقد فعل كثير منهم ذلك.

قال رسول الله ﷺ ما معناه: (إن القلوب لتصدأ وجلأؤها القرآن) ^(١).

وقال أيضاً: (أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي آل بيتي ما أن تمسكنم بهما لن تضلوا بعدي أبداً) ^(٢).

فلماذا الأمة الآن قد افترت واختلفت وأصبحت طرائق وطوائف يكذب بعضها البعض الآخر؛ لأنها وبصراحة تركت وصية الرسول محمد ﷺ بالثقلين وعمل كل حسب مصلحته وهواه. وإلا إذا كانت متمسكة بالقرآن والعتر الطاهرة لما أصبحت بهذه الحالة المبكية. ولربما يسأل سائل ويقول أما ترى الأمة الإسلامية تتلوا القرآن ليلاً ونهاراً وتهتم بطبعه وتحسينه؟

أقول: ولكن أين العمل به، وكل عمل له ثمار، فأين ثمار العمل بالقرآن، فالبلاد الإسلامية كلها محتلة من كل الجهات في الأرض والسماء والبحر والفكر والسياسة والاقتصاد وكل شيء، ولو عمل المسلمون بما في القرآن لما حل بهم ما حل ولما استذلهم الكفار.

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ^(٣)، أي العمل بما جاء في القرآن الكريم.

(أو ليسلطن عليكم شرار الناس، فيدعوا خياركم فلا يستجاب لكم) ^(٤).

ارجعوا إلى كتاب الله تعالى وتدبروا فيه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ

أَقْفَالُهَا﴾ ^(٥).

والبعض يقول لشدة غبائه وعدم فهمه للقرآن نحن الآن في تطور وتقدم حضاري والقرآن لا يوافق هذا التقدم العلمي.

١- قال رسول الله ﷺ: (إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: يا رسول الله فما جلأؤها؟ قال: قراءة القرآن وذكر

الموت) شجرة طوبى: ج ٢ ص ٤٤٢.

٢- المسترشد - للطبري: ص ٥٥٩.

٣- آل عمران: ١١٠.

٤- عن الإمام علي عليه السلام قال: (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم) كنز العمال: ج ٣ ص ٦٨٣.

٥- محمد: ٢٤.

فنقول: إن القرآن حي لا يموت ولكن أنتم الموتى، والقرآن يجري مجرى الشمس والقمر ولا ينقطع ما دامت السماوات والأرض كما ورد عن أهل البيت عليهم السلام.

ثم الذي يسمونه تطوراً قد تسبب في انحدار البشرية نحو الهاوية اللاأخلاقية وتسبب في إثارة آلاف المشاكل الاجتماعية. فدور الرعاية قد امتلأت من أولاد الزنا، والعوائل أمست تقضي كل وقتها في متابعة الأفلام والبرامج الخليعة، فالأخت لا تستحي من أخيها، والأخ لا يغار على أخته، والطفل منذ بداية نموه يفتح عينيه على هذه الفضائح ويتربى عليها ولها.

فالحياة السعيدة لا تكون بتقنية الأجهزة وألوان الأطعمة والأشربة، بل بصفاء الروح الإيمانية والسير نحو التكامل الأخلاقي الذي نتيجته عبادة الله العبادات الحقيقية.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

لا ليأكلون ويلعبون ويفسقون كما فسق الغرب وفقد أخلاقه، إن كان عنده أخلاق. فالأرض الآن غابة حيوانات، القوي يأكل الضعيف، وأصبح الناس إماماً للقرآن وليس القرآن إمامهم، ويعطفون القرآن على الهوى والرأي كما أخبر بذلك أمير المؤمنين عليه السلام، فلا يصلحهم يومئذ إلا الإمام المهدي عليه السلام حين يقوم بالسيف ويستأصل المنحرفين والمتسترين بالدين الذين فرقوا الأمة أحزاباً، كل حزب بما لديهم فرحون، فيعطف بأبي وأمي الهوى والرأي على القرآن، ويصبح القرآن هو الإمام والدستور الوحيد لا غيره من الأصنام البشرية التي لا تنفع ولا تنفع، فالسعادة الحقيقية هي تطبيق الأحكام الإلهية.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَلِّوْا سِتْقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾^(٣).

فالقرآن فيه تبيان كل شيء ودواء كل داء، ولكن كيف ينفع الدواء إذا لم يكن هناك طبيب ماهر قد أتعب نفسه وأخلص لربه في معرفة الداء والدواء، فنحن قد انغمسنا في الرذائل وابتعدنا عن الفضائل واتبعنا أهواءنا وآراءنا وتركنا القرآن وراء ظهورنا. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١- الذاريات: ٥٦.

٢- الأعراف: ٩٦.

٣- الجن: ١٦.

إن الله مع المحسنين:

الفيوضات الإلهية تصب وتمطر ليل نهار وبدون انقطاع (يا من يعطي من سأله ومن لم يسأله)، ولكن أواني قلوبنا منكوسة، فما علينا إلا أن ننتبه من هذا النوم العميق والسبات الطويل، ونقلب أواني قلوبنا بالشكل الصحيح وننظفها ونطهرها من القاذورات والنجاسات حتى تمتلئ من مطر الفيض الإلهي.

قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾^(١).
وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

الظاهر من الآية أمرين أو معنيين؛ الأول: الجهاد الأصغر، وهو جهاد الأعداء دفاعاً عن الدين والأرض والعرض والمال ... والمعنى الثاني: الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس وبذل الجهد في محاربة الهوى والرغبة في معصية الله تعالى.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أن الجهاد ينقسم إلى فريضة وسنة، ثم قسم جهاد الفرض إلى قسمين، فقال: (فأما أحد الفرضين فمجاهدة الرجل نفسه عن معاصي الله تعالى، وهو أعظم الجهاد، ومجاهدة الذين يلونكم من الكفار فرض)^(٣).

وورد عنهم عليهم السلام: (إن أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه)^(٤).

إذن مجاهدة النفس هي أعظم الجهاد.

وتنص الآية الكريمة على أن جزء المجاهدين هو الهداية إلى السبل التي توصل إلى صراط الله المستقيم، أي إرشاده إلى طرق الله تعالى وسبله التي لا يعرفها الإنسان ولم يهتد إليها بعد.

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من عمل بما علم الله ما لا يعلم)^(٥).

وورد أيضاً: (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)^(٦).

١- الرعد: ١٧.

٢- العنكبوت: ٦٩.

٣- الكافي: ج ٥ ص ٩ ح ١.

٤- وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٥ ص ١٦٣.

٥- ميزان الحكمة - للريشهري: ج ٣ ص ٢١٠٧.

٦- بحار الأنوار: ج ٦٥ ص ٣٦٣.

وورد: (أن العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده) ^(١).

وورد: (من أخلص لله أربعين صباحاً فجر الله الحكمة من قلبه وجرت على لسانه) ^(٢).

والثابت أيضاً أن الله يكون مصاحباً لهؤلاء المجاهدين، فكم يكون الإنسان سعيداً إذا صاحبه صديق مخلص وطيب ومؤمن، ويكون أكثر فرحاً إذا كان ذلك الصاحب ولياً من أولياء الله تعالى، وتشهد الفرحة والسرور إذا كانت المصاحبة مع نبي من الأنبياء، فماذا تكون الفرحة إذا كانت المعية (إن الله لمع المحسنين) ألا نحرص على مصاحبة الله تعالى وعدم مفارقتها، وهو الخالق المصور الرحمن الرحيم الودود العزيز الحكيم.

علينا أن نتفكر ونكثر التفكير والتدبر، ففي التفكير حياة القلوب والقرآن يهتف وينادي:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ^(٣).

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ^(٤).

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ^(٥).

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ

وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ ^(٦).

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ^(٧).

وروي عن هشام بن الحكم، قال: (قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في حديث

طويل إلى أن قال: يا هشام، إن لكل شيء دليلاً، ودليل العقل التفكير، ودليل التفكير

الصمت) ^(٨).

وروي أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نبه بالتفكير

قلبك، وجاف عن الليل جنبك (ساجداً)، واتفق الله ربك) ^(٩).

١- انظر: مستدرك سفينة البحار - للنمازي: ج ٨ ص ٣٠٥.

٢- بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٢٤٩.

٣- محمد: ٢٤.

٤- النساء: ٨٢.

٥- ص: ٢٩.

٦- الروم: ٨.

٧- آل عمران: ١٩١.

٨- وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٥ ص ١٩٦.

٩- الكافي: ج ٢ ص ٥٤ ح ١.

وعن الحسن الصيقل، قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عما يروي الناس أن تفكر ساعة خير من قيام ليلة، قلت: كيف يتفكر؟ قال: يمر بالخربة أو بالدار فيقول: أين ساكنوك، أين بانوك، ما لك لا تتكلمين) ^(١).

وروي عن الرضا عليه السلام يقول: (ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم، إنما العبادة التفكير في أمر الله تعالى) ^(٢).

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (أفضلكم منزلة عند الله تعالى أطولكم جوعاً وتفكيراً، وأبغضكم إلى الله كل نؤوم أكول) ^(٣).

وقال ابن عباس: أن قوماً تفكروا في الله تعالى، فقال النبي صلى الله عليه وآله: (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله، فإنكم لم تقدروا قدره) ^(٤).

وعن الصادق عليه السلام: (الفكر مرآة الحسنات، وكفارة السيئات، وضياء للقلوب، وفسحة للخلق، وإصابة في صلاح المعاد، وإطلاع على العواقب، واستزادة في العلم، وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها) ^(٥).

* * *

١- وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٥ ص ١٩٧.

٢- الكافي: ج ٢ ص ٥٥ ح ٤.

٣- ميزان الحكمة - للريشهري: ج ٣ ص ٢٤٣٥.

٤- كشف الخفاء - للعجلوني: ج ١ ص ٣١١.

٥- جامع السعادات - للنراقي: ج ١ ص ١٦١.

شكر الخالق:

رأينا التأكيد على التفكير في خلق الله تعالى والنهي عن التفكير في الله تعالى، فمن خلال التفكير في خلق الله تعالى وخلق هذا الكون الرهيب العجيب والدقيق بمنتهى الدقة التي لا يستطيع أي عالم أو أي تطور أو تقدم بالتقنية أن يعرف هذه الدقة الدقيقة. هذا الكون الواسع جداً والذي تكون هذه الأرض الواسعة بما فيها على قول الفلكيين ذرة بالنسبة لهذا الكون، وكل هذا خلق من أجل بني آدم.

(يا ابن آدم، خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي) ^(١).

وكل هذا الكون وهذه المخلوقات صغيرها وكبيرها تنادي بلسان حالها: (خالقنا الله الواحد القهار)، والتفكر في هذه المخلوقات يقدر في ظلمات القلب نور الهداية، وكلما زاد التفكير زاد ذلك النور وزادت المعرفة وتحرك القلب نحو الذكر الحقيقي القلبي، حتى وإن لم يتلفظ الإنسان بلسانه.

فلو اجتمعت الخلائق بما عندهم من أحدث الأجهزة التي ينعمون بذكرها وعرضها والتفاخر بها، على أن يخلقوا خلية واحدة أو كرية دم واحدة، التي لا ترى بالعين المجردة، لا يستطيعون ذلك!! فكم يكون عجز الإنسان الحقير وكم تكون قدرة الله سبحانه وتعالى، ثم إذا عرف الإنسان خالقه العظيم جل جلاله فعليه أن يتوجه إليه بكل جوانحه وجوارحه وفي كل الأمور صغيرها وكبيرها، في الشدة والرخاء، وفي الغنى والفقر، والصحة والمرض؛ لأن لولاه لما عاش لحظة واحدة ولا غير ذلك.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: (أقل ما يلزمكم لله أن لا تستعينوا بنعمه على معاصيه) ^(٢).

والله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ^(٣)، الإحصاء فضلاً عن الشكر.

فينبغي أن نستعين بهذه النعم التي جعلها الله تعالى تحت تصرفنا أمانات في أيدينا وفق ما يرضي الله جل جلاله صاحب هذه النعم وخالقها.

وقبيح جداً أن يعطيك إنسان أمانة ويقول لك: اعمل بما شئت لمنافعك، ولكن أطلب منك طلباً يسيراً وهو أن لا تنجس هذه الأمانة ولا تسيء استخدامها، وسوف أجازيك على

١- انظر: الفتوحات المكية - لابن عربي: ج ١ ص ٢٩٥.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٣٦٤.

٣- النحل: ١٨.

ذلك مجازاة لا نظير لها، ثم تخون ذلك الإنسان وتستعمل أمانته فيما لا يرضى !! وتقابل إحسانه بالإساءة. فينبغي أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٢﴾﴾.

وفي الحديث ما مضمونه: (الدنيا في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب) (٢).

فالكل يحفظ هذه الآية، ومضمون هذه الأحاديث، ولكن من منا يعمل عملاً تطبيقياً وجدانياً صادقاً أمام الله تعالى؟ فكم نحن بخطر عظيم من المراقبة الإلهية؟ ونحن ساهون لاهون عما يراد بنا في هذه الدنيا الدنية، والتي كلها امتحانات وعقابات في الصغيرة والكبيرة، في الكلام وفي الصمت، وفي الحركة وفي السكون. فينبغي أن نكون على حذر عن ما يصدر عنا؛ لأن الكرام الكاتبين يكتبون ليلاً ونهاراً ويحصون أعمالنا ويحفظونها ونحن ننساها أو نتناساها. والحمد لله وحده.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٣).

الشيخ حبيب السعيدى

١- الزلزلة: ٧ - ٨.
٢- قال الإمام الحسن المجتبي عليه السلام لجنادة: (واعلم أن في حلالها حساباً وحرامها عقاباً وفي الشبهات عتاب) كفاية الأثر - الخراز القمي: ص ٢٢٧.
٣- البقرة: ٢٨٦.

الفهرس

٥	الإهداء
٧	المقدمة
٩	الهدف السامي للإنسان
١١	تیه بنی اسرائیل
١٣	القرآن یحث علی التکامل
١٥	التمسک بالثقلین
١٩	الاختیار لله أم للناس
٢٣	السعادة من القرآن لا من غیره
٢٥	إن الله مع المحسنین
٢٨	شکر الخالق
٣١	الفهرس

والحمد لله رب العالمین